النشـــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٣٧ / ٢٠٠٠
الأحد ١٠ أيلول
الأحد قبل رفع الصليب
تذكار القديسات الشهيدات
مينوذورة وميتروذورة ونيمفوذورة

اللحن الثالث
إنجيل السَحَر الأول

الـرســالــة (غلاطية ٦ : ١١ – ١٨)
الإنــجــيــل (يوحنا ٣ : ١٣ –١٧)

+ البارة ثيودورة الإسكندرانية

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في الحادي عشر من أيلول لتذكـــار القديســـة البـــارة ثيودورة (هبة الله) الإسكندرانية، التي عاشت طيلة حياتها محاولـــة التكفـير عـن خطيئة وقعت فيها، ونالت إكليل المجد والغبطة في ملكوت الله.

عاشت ثيودورة في الإسكندرية في القرن الخامس، وربّاها والدهـــا تربيـــة مسيحية صالحة، وقد منحها الله جمالاً أخاذاً حتى انها كانت محطّ أنظار الشـــبان لحسن جمالها الخارجي والداخلي. تزوّجت من شاب تقي ورع اســـمه بفنوتيـــوس، اعتبرها هبة من الله له ليعيش معها أيام حياته بالقداسة والسلام. إلا أن الشـــيطان

عدو البشر عمل على إسقاط ثيودورة في تجربة الزنى مع شاب كان يلاحقها بإصرار. سقطت ثيودورة في الخطيئة بعدما تملّقها هذا الشاب ونال مبتغاه منها. وما أن وعت ثيودورة خطيئتها حتى قرّرت التكفير عن ذنبها الكبير، فأعلنت توبتها وبدأت تطبّق أقوالها أفعالاً. قصَّت شعرها ولبست ثياباً رجالية رثَّة وشوّهت رونق طلعتها حتى انها لم تعد تُعرف كامرأة، وقصدت أحد أديار الرهبان الرجال في جوار الإسكندرية وتوسّلت رئيس الدير أن يقبلها بين الرهبان لتخدمهم وتعيش في التقوى. ظن رئيس الدير أنها أحد الفتيان التائبين فقبلها، وأطلق عليها اسم ثيودوروس. أما زوجها بفنوتيوس فلم يعلم أين اختفت زوجته، وصار ينتحب على فقدانها.

عاشت ثيودورة في الدير مدة من الزمن وكانت راهباً مثالياً، تقوم بكافة الأعمال المطلوبة منها على أتم وجه، حتى أصعب الأعمال التي كانت تُطلب من الرجال. هذا إلى جانب الأسهار والأصوام والصلوات والدموع، وصارت نموذجاً يُقتدى به في الدير. هنا أيضاً لم يدعها الشيطان بسلام فسلَّط عليها امرأة سيئة السمعة ادّعت انها حملت من الراهب ثيودوروس فلم تدافع ثيودورة عن نفسها. طردها رئيس الدير فخرجت وسكنت مع الطفل كوخاً صغيراً قرب الدير.

بقيت في البرية سبع سنوات عاشتها في التضرّع والصلوات، محتملة حرّ الصيف وبرد الشتاء القارس، ولم تكن تتفوّه بكلمة واحدة أو تتذمّر. وكانت تربّي الطفل على الأخلاق والفضائل المسيحية. وقد حاول الشيطان خلال هذه السنين أن يغريها بالعودة إلى العالم وإلى زوجها لكنها لم ترد.

بعد سبع سنوات سمح لها رئيس الدير بالعودة إلى الدير شرط أن تعيش منفردة في قلاية لوحدها. شكرت الله وعادت وكانت قد اعتادت العزلة. ولم تتوقف عن الصلاة والصوم والسهر والبكاء على خطاياها القديمة، وكانت تقبل كل شيء بفرح، معتبرة انه بسماح من الله لتطهيرها ولمحو خطاياها. واستمرت على هذه الحال إلى ان رقدت بسلام عام ٤٨٠. ولما حضر الرهبان ليجهّزوها للدفن اكتشفوا انها امرأة وليست رجلاً فعرفوا حينها مقدار قداستها وعظمة جهادها وما احتملته رغم التلفيقات الكاذبة.

انتشر خبر موت الراهب ثيودوروس في الإسكندرية، وعلم الجميع انه امرأة. أتى زوجها بفنوتيوس واكتشف ان الراهب ثيودوروس هو زوجته. بكى طويلاً وقرر البقاء في الدير. قبله الرئيس راهباً في الدير وعاش هناك في قلاية

ثيودوروس إلى ان رقد بسلام. وهكذا عاش القديسان ثيودورة وبفنوتيوس حياة قداسة ملائكية على الأرض، فبشفاعتهما اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

+ عقيدتنا (٥)

الله

«أؤمن بإله واحد». هكذا يبتدئ دستور الإيمان، لأن الكنيسة وعت ان الاعتراف بإله واحد، بالله، هو رأس المبادئ المسيحية والقاعدة الأساسية التي يرتكز عليها الإيمان المسيحي.

عندما سأل أحد الكتبة يسوع عن أول الوصأيا، «أجابه يسوع أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا ربٌ واحدٌ، وتحبّ الرب إلهك من كل قلبك » (مرقس ١٢: ٢٩و٣٠). يستشهد الرب يسوع بما ورد في سفر تثنية الاشتراع في العهد القديم: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا ربٌ واحدٌ. فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوّتك. ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيتك بها اليوم على قلبك، وقصّها على أولادك وتكلّم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم، واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك » (٦: ٤-٨).

هذه الكلمات هي شرح للوصية الأولى من الوصايا العشر «أنا هو الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» (تثنية ٥: ٦-٧).

لقد قال الفيلسوف الإغريقي طاليس Thales «ان العالم مليء بالآلهة»، إذ ان العالم قبل المسيحية كان يؤلّه الطبيعة، أي انه كان يعتبر القوى الطبيعية آلهة، كالشمس والرعد والمطر والنار إلخ رفضت المسيحية تأليه العالم للطبيعة وبشّرت بالإله الواحد، الله، وأعلنت ان كل النواميس والقوى والعالم وكل حياة في العالم ليست آلهة، بل من الله هي. إنه الإله الخالق والضابط الكل ومنه تستمد جميع الخليقة وجودها وبه تجد معنى لحياتها,

ما هو الله في جوهره وطبيعته؟ هل يمكننا تعريفه؟ إن ما يمكن تعريفه محدود. وإذا فعلنا هذا فلا يعود الله هو الله إذ هو غير محدود وغير مدرَك، وكما نصفه في القداس الإلهي، في الكلام الجوهري: « لأنك أنت الإله الذي لا يوصف ولا تحدّه العقول، غير المنظور، غير المدرَك، الدائم وجوده، الثابت الوجود أنت وابنك الوحيد وروحك القدوس...». ما يمكننا إدراكه هو صفات الله

التي اختبرناها من خلال حياتنا وعيشنا معه. ما نعرفه هو أمور عن الله ولكن ليس جوهر الله، إذ ان جوهره غير مدرَك. ولكن من خلال ما نعرفه من صفات الله التي نقرأها في الكتاب المقدس، يمكننا بناء معرفة جيدة عنه، وبالتالي بناء علاقة خلاصية متينة معه.

أهم صفة من صفات الله الكينونة، أو بكلام آخر «كان وكائن ويكون». أول خبرة مباشرة بين الله والإنسان كانت مع النبي موسى في العهد القديم. إذ لما أرسل الله موسى ليُخرج الشعب من أرض مصر، أرض العبودية، إلى الحرية، سأله موسى «فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم. وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه، إله آبائكم، إله ابرهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي » (خروج ٣: ١٣-١٥).

إذا درسنا كلمتي «أهيه» و«يهوه» من الناحية اللغوية نلاحظ أن الكلمتين لهما نفس المعنى في اللغة العبرية. فكلمة «أهيه» هي مضارع فعل الكون (To be, e) في صيغة المتكلم المفرد وتعني «أكون»، وكلمة «يهوه» هي مضارع فعل الكون في صيغة الغائب المفرد وتعني «يكون» أي «الكائن». جواب الله المباشر على سؤال موسى لم يكن لا أهيه ولا يهوه بل «أهيه الذي أهيه» أي «أكون الذي أكون» أي «أنا هو الذي أنا هو». الله لم يحصر نفسه إذاً في اسم علم، إنما هو الكائن الموجود على الدوام وغير المحدود. الإسم يحدّد والله لا يحصره شيء. هو الإله الذي يُعرف من خلال الأعمال التي قام ويقوم بها ومن خلال تجلّياته. هذا ما نقرأه في سفر الخروج: «لذلك قل لبني إسرائيل أنا الرب، وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلّصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة. واتّخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً فتعلمون اني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين» (٦: ٦-٧). هذا ما نستنتجه أيضاً من الوصية الأولى من الوصايا العشر: «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن اك آلهة أخرى أمامي» (خر ٢٠: ٢ وتثنية ٥: ٦-٧). إذاً، معرفة الله مرتبطة بعمل ما أو حدث ما وليس باسم.

هناك أسماء أخرى يطلقها الكتاب المقدس على الله «الوهيم، أدوناي»، «الرب»، «القدوس»، «الضابط الكل»، «السرمدي»، «الأول والآخر» إلخ هذه الأسماء ليست سوى محاولة لوصف ما يصدر عن الله، تُعرفنا على الله ولكنها لا

تستطيع أن تعبّر فعلاً عن جوهره. فما من اسم واحد قادر على تعريف الله أو وصفه. في العهد القديم وجود أسماء كهذه كان ضرورياً لكي يميّز الشعب بين الله والآلهة الوثنية الأخرى. وفي هذا الإطار يأتي اسم يهوه لكي يعرّف الشعب انه الكائن والدائم الوجود. إن من يقرأ العهد القديم بتمعن يلاحظ ان الله كان دائماً يستعمل الطريقة نفسها كلما أراد أن يذكّر الأجيال بحضوره المستمر في وسطها، إذ كان يقول لهم سأفعل معكم كذا وكذا وعندئذٍ تعرفون اني أنا يهوه. من هنا يتضح ان الإله الحي لا يعرّف ذاته حاصراً نفسه في اسم معيّن، لكنه يدعو دائماً إلى التأكد من انه وحده **الكائن** الحي القدير إذ انه **يكون** (=يهوه) مع مخاطبه كما يعده. من هنا يقول القديس يوحنا الدمشقي: «إن ابلغ الأسماء المقولة في الله إنما هو «الكائن» لأنه بذلك يجمع في ذاته الوجود كله، على مثال بحر من الجوهر لا يُعرف له عمق ولا حدّ» (المقالة التاسعة من كتاب المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي). ما نستنتجه ان الله لا يمكن حصره في اسم واحد، وهذا طبيعي لأنه غير محدود في زمان أو مكان إذ هو **الكائن** في كل زمان وكل مكان.

من صفات الله الأخرى التي نقرأها في الكتاب المقدس انه غير المحدود، الأزلي الذي منه تستقي كل الكائنات وجودها. يقول الإنجيلي يوحنا «الله روح» (يوحنا ٤:٢٤). وكروح ليس بحاجة إلى مكان، ولا يمكن حصره في مكان، بل هو المالئ كل مكان: «أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب. إن صعدتُ إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فها أنت. إن سكنتُ في أقاصي البحر فهناك أيضاً تهديني يدك... الظلمة أيضاً لا تظلم لديك والليل مثل النهار يضيء» (مز ١٣٩: ٧-١٢). إنه يتجاوز الزمن، أزلي، سرمدي، لا يتغيَّر، لا يشيخ، هو قديم الأيام ولكنه لا يشيخ. وبالتالي هو عارف كل شيء ومعرفته لا منتهى لها. لا يعني الماضي والحاضر والمستقبل له شيئاً، هو الكائن منذ الأزل وإلى الأبد. هو الكلي الحكمة، والضابط الأمور. هو القوي الذي لا يمكن مقاومته، أمامه تركع كل ركبة. أيضاً يقول الإنجيلي يوحنا «الله محبة» (ا يو ٤:١٦). هو المحبة الكاملة والكلّي القداسة، والكلّي الصلاح، العادل، والرحوم. هو المبارك، هو النور الحقيقي، نور الحق الذي ينير ويبارك كل شيء. هو مصدر كل عطية صالحة، المعطي بدون حساب أو أنانية وبمحبة.

ما يمكننا قوله ان كل هذه هي صفات لله، اكتشفناها من خـــلال خبرتنـــا معه، خبرة آبائنا وأجدادنا في الكتاب المقدس، وهـــي ليســـت جوهـــر الله، إذ ان الجوهر لا يدركه أحد، وإلا فإننا نصبح آلهة ولا يعود الله الله.

أخيراً، كل هذه الصفات الكاملة وحقيقة تجانس الكون الذي كتبنا عنه سابقاً، تدفعنا إلى القول بإله واحد، عقل واحد يدير الأمور كلها. فلو وجد أكثر من إله سوف يعمل كلٌّ منهم على طريقته، فنصل إلى الخراب. لكن خبرتنا تعلّمنا العكس. يوجد إله واحد هو الله. ولكن «ان أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا ربٌّ واحدٌ» (مر ١٢:٢٩). ولكن ماذا عن الثالوث، الآب والابن والروح القدس؟ سوف نشرح هذا في العدد القادم.

(يتبع)

+ تأمل

من سني شبابي ، وأنا أصلّي للذين أغضبوني وأساؤوا إليّ قائلاً: " أيها الرب لا تحسب لهم خطاياهم التي اقترفوها تجاهي ". لكن، ورغم عشقي للصلاة، لم أفلـــت من الخطيئة والسيّد نفسه لم يعد يذكر خطاياي بل أعطاني أن أحـــبّ النـــاس. إن روحي تشتهي أن يخلص جميع شعوب الأرض، وأن يســـكنوا ملكـــوت الســـموات، ويعاينوا مجد الرب ويذوقوا طيب الحب الإلهي.

وأنا الآن أحكم من خبرتي: ان السيّد الذي يحبنّي كل هذا الحب، هكذا يحـــب كل الخطأة.

يا أيها الحب السيّد، إن قواي لا تقوى على النطق بك، لأن حبّك عميق الى ما لا تقوى على النطق بك، لأن حبّك عميق الى ما لا نهاية ومدهش غريب.

إن النعمة الإلهية تمنح القوة لحب أحبة الرب : والروح مشـــدودة أبـــداً الـــى الصلاة، ولا تقوى على نسيان السيّد، ولا للحظة.

أيها الرب، يا صديق البشر، كيف لم تتغاض عن عبدك لأجل خطيئته ؟ لكـــن ، ومن علوّ مجد ملكك، وبعظيم رحمتك، إلتفتّ إليّ، وظهرت لي : – وهـــذا يفـــوق فهمي– أنا أحزنك وأجرحك على الدوام، لكن أنت، يا أيها السيّد ، مـــا إن أدعـــوك، حتى تؤهّلني لمعرفة حبّك العظيم وحنانك الغزير.

إن نظرتك الهادئة الحنونة شدّت روحي.

ماذا تعطى بالمقابل ؟ وبماذا تسبّح ؟

أنت تمنح نعمتك حتى تبقى الروح ملتهبة بعشقك يا الله، فلا تعرف الراحة، لا ليل ولا نهار.

إذا ما ذكرتك، تدفأ روحي، ولا مكان في الأرض ترتاح فيه إلاّ عندك أنت. لهذا أرومك بدموع وبعبرات، ومحدّداً أعود فأضيّعك، ومجدّداً تشتاق روحي وتتهلّل بك. لكنك لا تكشف وجهك ليل نهار كما تشتهي لروحي يا الله.

يا سيّد، أعطني أن لا أحب إلاّك وحك.

أنت خلقتني ، أنت أنرتني بالمعمودية المقدّسة، أنت تغفر ذنوبي وخطاياي، وأنت تسمح لي بتناول جسدك الطاهر ودمك الكريم، فأعطني يا سيّد أيضاً أن أسكن دائماً فيك.

إمنحنا يا سيّد توبة آدم وتواضعك المقدّس.

إن روحي سئمة على الأرض وترجو حياة السماء.

أتى السيّد الى الأرض كي يرفعنا الى حيث يسكن هو. كذلك أمه الكليّة القداسة، التي خدمته على الأرض من أجل خلاصنا. فحيث يوجد هناك أيضاً تلامذته سيكونون وكل الذين تبعوه. الى هناك يدعونا السيّد، رغم خطايانا.

هناك ، نلقى الرسل الأطهار في المجد لكي يخبّروا بالإنجيل، والأنبياء القدّيسين والأساقفة وملافنة الكنيسة، هناك نشهد الرهبان الممجّدين الذين جاهدوا وصارعوا بالأصوام حتى يلقوا التواضع، هناك يمجّد " مهابيل" المسيح، لأنهم غلبوا العالم.

هناك يعظّم كل الذين غلبوا، الذين صلّوا تحمّلوا آلامه، لأن المسيح أحبّ العالم أيضاً، والحب لا يجرّب بخسارة نفس واحدة.

هناك تتوق نفسي أن تسكن. لكن الى هناك لا يدخل أي نجس: ولا يمكننا الوصول إلاّ بعذابات كبيرة ، وبروج مهشّمة وبدموع غزيرة. وحدهم الأطفال الذين حفظوا نعمة المعموديّة المقدّسة يصلون بدون وجع، وهناك يعرفون السيّد بالروح القدس.

إن روحي تشتاق دوماً إليك يا الله وتصلّي نهاراً وليلاً، لأن اسم السيّد عذب، وهو يذيق حلاوته للذين يصلّون، ويجيش القلب بحبّه.

القديس سلوان الآثوسي